

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - ؟؟؟.

الشرح

كتب الشيخ - رَحِمَهُ اللَّهُ - هذه الرسالة للتمييز بين الشرك والكفر، والتوحيد، وتمييز المسلم من غيره من المشركين، والمؤمن الموحد من الكافر، وأدلتها مأخوذة من الكتاب والسنة.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: (أسأل الله الكريم ...) الخ، وهذا من نُصَح هذا الإمام أنه يعلمك ويدعو لك، وفيه توسل إلى الله بعظمته وبربوبيته للعرش الذي هو أعلى المخلوقات، وباسمه الكريم.

توسل إلى الله تعالى بربوبيته وصفاته، وأن يتولاك يا طالب العلم في الدنيا والآخرة، وأن يجعلك مباركاً أينما كنت، ويوفقك لما فيه صلاح دينك وآخرتك.

والمبارك: هو الذي يتعدى نفعه للآخرين؛ من إطعام جائعهم، وتحمل أثقالهم وعونهم.

وقوله: (وأن يجعلك مباركاً أينما كنت)؛ أي: في عملك، وفي كل شيء؛ في نفع الناس، وفي الجاه والشفاعة، وغيرها.

وقوله: (وأن يجعلك ممن إذا أُعْطِيَ شكر، وإذا ابْتُلي صبر، وإذا أذنب استغفر).

هذه علامات السعادة؛ إذا أصابته نعمة شكرها، وإذا أصابته بلية صبر، وإذا أذنب يتوب، ويستغفر.

والإنسان يتقلب بين هذه الأحوال الثلاثة؛ فقد يكون في نعمة في ماله، أو بدنه، أو أهله، فإن عليه أن يشكر الله عليها بأن يعترف لله تعالى بهذه النعمة بقلبه، ويشكرها ويثني بلسانه على الله، ويصرفها في مرضاة الله بجوارحه، وقد يكون في بلية ومصيبة، فعليه أن يصبر، ولا يجزع ولا يتسخط، وقد يكون في معصية، فعليه أن يقلع ويندم، ويتوب ويستغفر.

وتفصيل الحالات الثلاث:

الحالة الأولى: أن يكون في نعمة فعليه أن يشكرها.

والشكر بثلاثة أمور: باللسان. وبالقلب. وبالجوارح.

قال الشاعر:

أفادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا

الحالة الثانية: أن يكون الإنسان مبتلى بمصيبة بنفسه بمرض أو فقر، أو في ولده، أو أهله، فيكون صابراً ولا يتجزع، ولا يتسخط، بأن يحبس لسانه عن التشكي، ويكف جوارحه عما يغضب الله - ﷻ - ويحبس نفسه عن الجزع، فلا يلطم خدّاً، ولا يشق جيئاً، كما قال النبي ﷺ لآل أبي سلمة لما توفي أبو سلمة: «لا تقولوا إلا خيراً، فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون»^(١).

الحالة الثالثة: أن يكون الإنسان مذنباً، فعليه الإقلاع عن الذنب، ثم الندم على ما مضى، ثم يعزم على عدم العودة والاستغفار، وأن يرد المظلمة إلى أهلها.

فالإنسان دائر بين نعمة فيشكر، أو مصيبة فيصبر، أو ذنب فيستغفر، فإذا كان الإنسان يشكر الله على النعمة، ويصبر على المصيبة، ويتوب ويستغفر إذا أذنب، فهذه الثلاث عنوان السعادة.

قوله: (اعلم أرشدك الله لطاعته أن الحنيفية ملة إبراهيم ...) الخ.

هذا أمر من باب الانتباه، والعلم هو: اليقين، وضده الشك، وأما من يعلم ولا يعمل فهذا غاوٍ، وأما من يعمل بدون علم فهذا ظالم، والراشد من يعمل بعلم وبصيرة.

(١) أخرجه مسلم (٩١٩) من حديث أم سلمة رضي الله عنها.

العلم هو اليقين من غير شك، أي: (تيقن واجزم) هذا معنى العلم، وهو حكم الذهن الجازم.

الحنيفية: ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وأن تعبد الله وحده مخلصاً له الدين، أي: العبادة الدين يطلق على العبادة.

ويطلق الدين على الجزاء والحساب.

والحنيفية هي التي أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يتبعها بقوله: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٣].

ومعناها (لا إله إلا الله)، والحنيفية هي التوحيد، وهي أن تعبد الله وحده مخلصاً له الدين، وسميت حنيفية من الحنف، وهو الميل؛ لكونها مائلة عن الشرك، وتسمى الإسلام، وتسمى الملة العوجاء؛ لأنها مائلة عن الشرك، وهي مستقيمة في نفسها.

ومعناها: أن تتقرب إلى الله بالعبادات، وتوجه جميع إراداتك لله مع الإخلاص. بمعنى تخص الله بهذه العبادة وتنفيها عن غيره.

فتعبد الله بالدعاء، ولا تدعو غيره، وتعبد الله بالذبح، ولا تذبح لغيره، وتعبد الله بالسجود، ولا تسجد لغيره.

فلا بد من عبادة الله وحده مع الإخلاص، وأمر الله جميع العباد بعبادته، وخلقهم لها؛ الجن والإنس كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

قول المؤلف: (فإذا عرفت أن الله خلقك لعبادته فاعلم أن العبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد، كما أن الصلاة لا تسمى صلاة إلا مع الطهارة).

الكفر بالطاغوت هو البراءة من كل عبادة معبود سوى الله، البراءة منها ونفيها وبغضها وإنكارها ومعاداتها وأهلها.

فلو صلى إنسان فلا يسمى عابداً لله إلا إذا أخلص لله العبادة، فقد يصلي لله ويصلي لغيره، ولهذا قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَأْتِيَ الْكَافِرُونَ﴾ [الكافرون: ١].

كما أن الصلاة لا تسمى صلاة إلا مع الطهارة، فإذا لم يتطهر لم يُعدّ مصلياً، وكالحدث

إذا خالط الطهارة لا يسمى طهارة، وكالشرك إذا دخل العبادة أفسدها، فإذا عرفت أن العبادة إذا دخلها الشرك بطلت وصار صاحبها من أهل النار، ولا بد أن تتميز التوحيد من الشرك، والعبادة الصحيحة من العبادة الفاسدة.

- هذه القواعد من القرآن من الكتاب والسنة.



القاعدة الأولى

(أن تعلم أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ مقرون
بأن الله تعالى هو الخالق...).

الشرح

أن تعلم وتيقن أن الكفار الذين في زمن الرسول ﷺ وكفار قريش وغيرهم؛ قاتلهم رسول الله ﷺ واستحل دماءهم، وأموالهم، وكانوا مقرين بتوحيد الربوبية، فهم يقرون أن الله هو الخالق الرازق المدبر، وهذا التوحيد هو توحيد الربوبية، ولم يدخلهم في الإسلام، ولم يخرجهم من الشرك؛ بل استحل النبي دماءهم وأموالهم؛ لأنهم أشركوا في توحيد العبادة (الألوهية)، ولا يكفي الإقرار بتوحيد الربوبية، بل لابد من الإقرار معه بتوحيد الألوهية.

والدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١].

قل (يا محمد) لهؤلاء الكافرين والمشركين: من الذي يرزقكم؟ فسيقولون: الله.

والمؤلف اقتصر على آية، والآيات كثيرة منها:

قوله تعالى: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٨٤) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿ [المؤمنون: ٨٤-٨٥].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّنِيعِ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ (٨٦) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿ [المؤمنون: ٨٦-٨٧].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَدِينُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُحْيِيهِ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٨].

وقوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧].

وقوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ﴾ [العنكبوت: ٦١].

ولم ينفعهم هذا الإقرار بالربوبية وحده، بل لابد من الإقرار بالتوحيد: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية.

ومن أقر بأحدهما لا يُعَدُّ موحدًا، إلا إذا أقر بتوحيد الربوبية والألوهية معًا.



القاعدة الثانية

(أنهم يقولون: ما دعوناهم وتوجهنا إليهم إلا لطلب القربة والشفاعة).

الشرح

إن الكفار أحل الله دماءهم ورؤسولهم، وقتلهم لما عبدوا الأصنام والأشجار، والأحجار ما يعبدونها لأنها تنفع وتضر، بل يعتقدون أن الذي ينفع ويضر هو الله تعالى، لكن يقولون: ما توجهنا إليهم إلا لطلب القربة والشفاعة فقط. الذين يعبدون اللات والعزى والملائكة لا يعتقدون أنهم يضررون وينفعون، بل يعتقدون أن الذي ينفع ويضر هو الله تعالى، ولكن يقولون ندعو الأشجار، والأحجار، والصالحين لأجل القربة والشفاعة، لأجل أنهم يقربوننا إلى الله تعالى؛ ويشفعون لنا عند الله. فيدعون الأنبياء والملائكة الصالحين، يقولون: هم أقرب منا لقضاء حوائجنا عند الله، ويشفعون لنا عند الله تعالى، وإن الأشجار والأحجار تسبح الله

تعالى، فهي أقرب منا إلى الله، وأما نحن فعلىنا ذنوب، ونحن الآن ندعو الصالحين، وندعو الأولياء والأحجار، لأجل القربة والشفاعة فقط، لا لأجل أنها تنفع وتضر، ولا لأن بيدها شيئاً، فإن الذي ينفع ويضر هو الله تعالى، والذي بيده الأمور هو الله، لكن ندعوها ونتوسل بها إلى الله حتى تنقل حوائجنا إلى الله تعالى، وتشفع لنا عند الله تعالى.

ومع هذا صاروا مشركين (وهذا القول هو الشرك بعينه) لا يشترط في الشرك أن يعتقد الإنسان أن هذه الأشجار والأحجار تنفع وتضر؛ حتى وإن اعتقد أنها لا تنفع ولا تضر؛ فدعائها من دون الله شرك.

والدليل على أنهم يقصدون القربة والشفاعة قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ [الزمر: ٣].

وهم في هذا القول كاذبون كافرون، فكذبهم وكفرهم الله بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣].

ودليل الشفاعة قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَتْنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]. فردَّ الله عليهم بقوله: ﴿قُلْ أَتَنْتَبِهُونَ اللَّهُ يَمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [يونس: ١٨].
الشفاعة قسمان: شفاعة منفية، وشفاعة مثبتة:

١- شفاعة باطلة منفية: وهي التي تطلب من دون الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨]. وقال تعالى: ﴿مَنْ قَبْلُ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفِيعَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

مثل: طلب المشركين الشفاعة من معبودهم من غير الله، مثل قولهم: يا رسول الله، اشفع لي، يا علي، يا حسين، يا بدوي، اشفع لي، والمشرِك ليس له شفاعة؛ لأنه طلب من غير الله.

٢- شفاعة مثبتة: وهي التي تُطلب من الله - ﷻ - كأن يقول الداعي: يا رب شفّع فيّ نبيك، ولها شرطان:

أ- إذن الله للشافع أن يشفع؛ حتى نبينا لا بد في الشفاعة أن يؤذن له.

ب- رضا الله عن المشفوع له، لا بد أن يرضى الله عنه، ولا بد أن يكون موحدًا، ولأن الله يرضى إلا عن الموحد، وأما المشرك فلا يشفع له.

قال تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ [النجم: ٢٦].



القاعدة الثالثة

(أن النبي ﷺ ظهر في أناس متفرقين في عباداتهم...).

الشرح

النبي ﷺ بعثه الله تعالى، وظهر في أناس من المشركين لهم عبادات متنوعة؛ منهم من يعبد الشمس، ومنهم من يعبد القمر، ومنهم من يعبد الملائكة، ومنهم من يعبد الأحجار والأشجار، ومنهم من يعبد الصالحين، والأولياء، والأنبياء، كفرَّهم رسول الله ﷺ، ولم يفرق بينهم وقاتلهم.

والدليل قوله تعالى: ﴿وَقَدْ نَلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [الأنفال: ٣٩].

الفتنة هي: الشرك، أي: قاتلوهم حتى يزول الشرك، ويأتي التوحيد.

وهذه القاعدة هي أن كل من عبدَ غير الله تعالى فهو مشرك، وأنه شرك.

ثم ذكر المؤلف الأدلة: فدليل من يعبد الشمس، والقمر قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عَايَنَهُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا سَجْدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧].

ودليل الصالحين: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٥٦].

أي: لا يستطيعون تحويله من حال، ولا إزالته.

وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ﴾ [الإسراء: ٥٧].

قيل: نزلت في أناس من الجن أسلموا كان يدعوهم ناس من الإنس، ولم يعلموا بإسلامهم، والوسيلة، أي: القربة يطلبون إلى الله القربة بطاعته.

ودليل الملائكة قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْتَوْلَاءِ إِنَّا كُنَّا نَعْبُدُونَ﴾ [سبا: ٤٠].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا لِلْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا﴾ [آل عمران: ٨٠].

ودليل الأنبياء: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَإِيمَىٰ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦].

ودليل من يعبد الأشجار والأحجار قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ۖ ﴿١٩﴾ وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةَ الْآخَرَىٰ ۖ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ﴾ [النجم: ١٩-٢٠].

وهذه الثلاث أكبر الأصنام عند المشركين والعرب.

فاللات: لأهل ثقيف بالطائف، واللات اسم رجل كان يلت السويق وهو الحب للحجاج، ولما مات عكفوا على قبره، وقيل: اسم لصخرة، بتخفيف اللام، وأما بالتشديد باسم الرجل.

العزى: شجر لقريش ومن حولهم.

مناة: بنية لأهل المدينة ومن حولهم.

والأصنام كثيرة عند العرب؛ بل كل شخص له صنم؛ حتى في البيت، ويجمعون الأحجار، أو التراب، أو التمر ويعبدونها.

أما حديث أبي واقد الليثي -رضي الله عنه- فقوله: حدثنا عهد بكفر: أي: أسلمنا حديثاً وقريب عهدنا بالشرك، ولم يتمكن الإيمان في القلب؛ وذلك في غزوة حنين، وقد وقعت بعد فتح مكة، وهذا اعتذار من الصحابي، وغزا رسول ﷺ بعد فتح مكة هوازن في حنين، وطلب الصحابة الحُدُثاء عهد بالإسلام أبا واقد، ومن معه، ولما مروا بالمشركون وهم يعكفون على شجرة، ويعلقون بها أسلحتهم؛ أن يجعل لهم شجرة مثلها يتبركون بها، ويعلقون بها أسلحتهم، وهذا شرك.

فدل على أن الإنسان إذا طلب الشرك عن جهل، ثم زجر، وانتهى عنه فإنه لا يكون مشركاً، فتعجب رسول الله ﷺ من قولهم وقال: «الله أكبر إنها السنن» -أي: الطرق- أي: أنهم سلكوا مسلك المشركين الأولين بني إسرائيل اليهود مع موسى -عليه السلام- حينما طلبوا أن يجعل لهم إلهاً، وأما الصحابة فطلبوا شجرة يتبركون بها.

والطلب يختلف، ولكن العبرة بالحقائق والمعاني.

ففيه أن الإنسان إذا طلب الشرك عن جهل، وزجر وانتهى لا يقع في الشرك.



القاعدة الرابعة

(أن مشركي زماننا أغلظ شركاً من الأولين...) الخ.

الشرح

أي: أن تعلم أن مشركي زماننا أعظم شركاً، أي: أن المشركين المتأخرين أغلظ شركاً، وأعظم وأشد.

سؤال: هل الشرك فيه أعظم وأغلظ؟

الجواب: نعم، كله شرك، لكن الأولين شرهم أخف، والمتأخرين أشد وأغلظ، كما أن الموحدين يتفاوتون في الإيمان والتوحيد، فمن يصد عن دين الله فشره أعظم، وعذابه أغلظ وأقبح، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ [النحل: ٨٨].

وبين ذلك المؤلف -رحمته الله تعالى-: أن الأولين يشركون أحياناً، ويوحدون أحياناً يشركون في وقت الرخاء، والسعة، والراحة، ويوحدون في وقت الشدة والضيق، فدل على أنهم أخف شركاً ممثلاً.

إذا ركبوا البحر وحدوا وقالوا: يا الله! وإذا نزلوا البر أشركوا، وصاروا يعبدون اللات والعزى.

والدليل قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهًا فَلَمَّا نَجَّيْكُم إِلَى الْبَرِ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٦٧].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَاجٌ كَافُتَةٌ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِ فَمِنْهُمْ مُقْنَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ [لقمان: ٣٢].

فصار شرك الأولين أخف وأسهل، وأما شرك المتأخرين فهو في الرجاء، والشدة؛ بل إنهم يزيدون في الشدة تعلقاً بمعبوداتهم: يا علي! يا علي! يا حسين! يا حسين!

- وهناك فرق آخر بين شرك الأولين والمتأخرين:

أن الأولين يعبدون إما نبياً، أو صالحاً، أو شجراً، أو حجراً يسبح الله.

وأما المتأخرون فزادوا عليهم فصاروا يعبدون كفاراً أو فساقاً.

فالذي يعبد الفاسق أو الكافر أشد وأغلظ ممن يعبد الأنبياء والصالحين.

فصار شرك المتأخرين أغلظ من جهتين:

أ- أن المشركين الأولين (الأوائل) يوحدون الله عند الشدة، ويشركون في الرخاء، وأما المشركون المتأخرون فشركهم دائم في الرخاء والشدة.

٢- أن المشركين الأوائل يعبدون أنبياء، أو صالحين، أو أشجارًا، أو أحجارًا تسبح الله تعالى، ولا يعبدون كفارًا ولا فساقًا، وأما المتأخرون فهم يعبدون كفارًا أو فساقًا.

تم والحمد لله التعليق على القواعد الأربعة، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.



شرح للقواعد الأربعة

في شريط آخر ودرس جديد

قال الشيخ -حفظه الله-: الحنيفية: هي ملة إبراهيم، وهي أن تعبد الله وحده مخلصاً له العبادة، وهو معنى (لا إله إلا الله)، وقوله: (اعلم)، أي: اجزم وتيقن أن الحنيفية ملة إبراهيم، هي أن تعبد الله مخلصاً له الدين، أي: (مخلصاً له العبادة).

وهذا هو معنى (لا إله إلا الله). فإن معناها: لا معبود بحق إلا الله.

وكلمة التوحيد هي: عبادة الله وحده مع ترك الشرك، وهذا لا يكون إلا بالنفي والإثبات (لا إله) نفي. (إلا الله) إثبات.

فالإثبات: هو عبادة الله تعالى. والنفي: هو البراءة من كل معبود سوى الله؛ وهذا هو الإخلاص.

والإخلاص لا يكون إلا بالكفر بالطاغوت، والإيمان بالله -ﷻ-.

كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمَرْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْمَرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وخلق الله الجن والإنس لعبادته، ولا تسمى العبادة عبادة إلا مع التوحيد.

فإذا عرفت أن الله خلقك لعبادته في قوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وهذا الذي أرسلت به الرسل، وبُعِثت به، وأنزلت به الكتب، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦].

فاعلم أن العبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد.

والتوحيد: هو إخلاص العبادة لله تعالى، وهو إفراد الله بالعبادة، بأن لا يقع في الشرك، فإن وقع في الشرك زال التوحيد، وإذا زال التوحيد فسدت العبادة وبطلت، فالعبادة الصحيحة ما تكون إلا مع التوحيد.

والتوحيد هو: إفراد الله تعالى بالعبادة، كما أن الصلاة لا تسمى صلاة إلا مع الطهارة، فلو صلى بغير طهارة، فلا تسمى صلاة.



قوله: (فإذا عرفت أن الشرك إذا خالط العبادة
أفسدها...).

الشرح

أي: يعلم الإنسان أن الشرك يحبط الأعمال ويبطلها، إذا خالط الشرك العبادة بطلت، كما أن الحدث يبطل الطهارة، والصلاة لا تصح مع الحدث، فكذلك العبادة لا تصح مع الشرك، ويجب على الإنسان أن يتنبه إلى هذا الأمر العظيم، وأن يعرف الشرك، وذرائعه الموصلة إليه لعله يسلم، لعل الله يخلصه من هذه الشبكة.

والشرك يحبط العبادة قال تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥].

فإذا كان الشرك هو أعظم الذنوب، وأقبح القبيح، وأظلم الظلم، فمتى لقي الله به، فإن الله لا يغفر له، وصاحبه مخلد في النار، وهذا أمر عظيم.

فإذا عرفت ذلك وجب عليك العناية بذلك، وأن تعرف الشرك وطرقه وذرائعه الموصلة إليه، وأن تدعو الله أن يجنبك الشرك، كما قال الله تعالى عن إبراهيم -عليه السلام-: ﴿وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

أي: اجعلني في جانب، وهذه الأصنام في جانب، واجعل بيني وبينها مسافة بعيدة. وكذلك أيضًا الخليل هو الذي كسر الأصنام، وقاطع الناس كلهم؛ حتى إنه بقي، وحده أمام هؤلاء الكفار.

وقال الله عنه ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [النحل: ١٢٠]، ومع ذلك يخاف الشرك، ويسأل ربه أن يجنبه الشرك.

قال إبراهيم التيمي -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: (ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم؟). المعنى: إذا كان إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- يخاف الشرك، فمن يأمن بعده؟!

قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: ٤٨]. هذا ذنب عظيم لا يغفره الله، ومن لقي الله بالشرك، فإن الله لا يغفر له، وأما من لقيه دون الشرك فهو تحت المشيئة إن شاء الله غفر له بمنه، وفضله، وكرمه، وإن شاء عذبه بمعصيته؛ ولهذا أهل المعاصي دون الشرك وإن طال بقاؤهم في النار؛ يخرجون، ولا يخلد في النار إلا الكفرة، فمن مات على الشرك فهو خالد في النار.

قول المؤلف: (ذلك بمعرفة أربع قواعد ذكره الله في كتابه).

يعني: تتخلص من هذه الشبكة بمعرفة الأربع قواعد التي تميز بين المشرك والموحد، فإذا كان الشرك لا يغفره الله، وصاحبه يخلد في النار، والجنة عليه حرام، فهذا يوجب على المسلم العناية بهذا الأمر، وشدة الحذر من هذا الشرك، وهذه القواعد ذكرها الله في كتابه.

شرح القاعد الأولى: أن تعلم أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله، واستحل دماءهم، وأموالهم كانوا يُقرون بتوحيد الربوبية، وأن الله تعالى هو الخالق الرازق المدبر، ومع ذلك استحل دماءهم، وكفّرهم، وهذا التوحيد يسمى 'توحيد الربوبية'، وهو توحيد الله بأفعاله (توحيد الله بأفعال الرب، وهي: الخلق، والرزق، والإماتة، والإحياء، وغيرها من أفعاله سبحانه).

وقد أقرب به كفار قريش.

١- قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَيُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [يونس: ٣١].

٢- قوله تعالى: ﴿ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿ [المؤمنون: ٨٤ - ٨٥].

٣- قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نُنْقِطُ﴾ [المؤمنون: ٨٦، ٨٧].

٤- قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ يَدِينُ مَلَائِكَةُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُحْيِي وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [المؤمنون: ٨٨ - ٨٩].

٥- قوله تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [الزخرف: ٨٧].

فالقاعدة: أن الإقرار بتوحيد الربوبية، وهو الإقرار بأن الله تعالى هو الرب الخالق الرازق المالك المدبر، مطلوب، ولكن لا يكفي في الدخول في الإسلام، بل توحيد الله بالعبادة؛ حتى تقر بتوحيد الألوهية والعبادة.

وتوحيد الألوهية: هو توحيد الله بأفعالك أنت أيها العبد؛ من دعاء، ونذر، وصلاة، وذبح، وركوع، وغيرها من أنواع العبادة.

فتوحيد الربوبية: هو توحيد الله بأفعاله هو، وتوحيد الألوهية هو توحيد الله بأفعالك أنت أيها العبد، فإذا وَحَّدت الله بأفعاله هو ولم توحده بأفعالك أنت؛ لم تدخل في دين الإسلام.

فعليك أن تعلم أن الإقرار بتوحيد الربوبية وحد لا يكفي في الدخول في الإسلام، بدليل أن كفار قريش أقروا بتوحيد الربوبية وقاتلهم رسول الله ﷺ، واستحل دماءهم، وأموالهم.

شرح القاعدة الثانية: يقول كفار قريش: (ما دعوناهم إلا لطلب القربة)، أي: ما دعونا الأصنام والأشجار إلا لطلب القربة، والشفاعة. وكفار قريش في عهد النبي ﷺ يعبدون أنواعاً من المخلوقات والمعبودات، منها: الشمس والقمر، ومنها: الملائكة، والأشجار والأحجار، وغيرها. يدعونهم وينذرون لهم، ويتوجهون إليهم يقصد طلب القربة من الله والشفاعة.

ودليل ذلك: قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣]. أي: قائلين: ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى.

فحكم الله عليهم بحكمين:

- ١- أنهم كذبة في قولهم؛ أنها تقربهم إلى الله، بل إنها تُبعدهم عن الله.
- ٢- أنهم كفار بهذا العمل؛ حينما يدعون الأولياء، ويذبحون للأصنام، أو الأشجار، أو الشمس، وينذرون لها، فهذا هو الشرك الأكبر؛ ولهذا رد الله عليهم بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣].

وحكم من دعا غير الله، أو تقرَّب، أو نذر لغير الله، أو ركع لغير الله، حكمه كافر بنص القرآن حتى لو اعتقد أنها لا تنفع ولا تضر.

ودليل دعواهم أنها تشفع قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]. فهم يثبتون الشفاعة والقربة، ولكن هذا العمل كفرهم الله به، وكذبهم.

والشفاعة نوعان: شفاعاة منفية. وشفاعة مثبتة.

١- الشفاعاة المنفية: هي التي تُطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله؛ كأن يطلب الشفاعاة من الأصنام، والأحجار، فهذه شفاعاة باطلة؛ لأنه لا يقدر عليها إلا الله - ﷻ، ولا تقدر الأحجار والأشجار أن تشفع عند الله كما قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨].

والدليل على الشفاعاة المنفية قوله تعالى: ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمَ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَعَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

وقوله تعالى: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨]. الظالم الكافر ليس له شفيع.

وقوله تعالى: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: ٤٨].

فمن مات على الكفر فلا شفاعاة له؛ إنما الشفاعاة لأهل التوحيد.

الشفاعة المثبتة لها شرطان:

١- إذن الله للشافع أن يشفع: والله لا يأذن لأحد أن يشفع في أهل الفسق والشرك.

٢- رضا الله عن المشفوع له: والله لا يرضى عن المشركين؛ فبطل الشفاعاة التي يطلبها المشركون في آلهتهم. فإذا قال: يا رسول الله اشفع لي - بعد موته - فهذا هو الشرك؛ فإنه لا يقدر عليه إلا الله، ولأنه دعا غير الله، ولأن الرسول ﷺ ميت لا يشفع إلا في يوم القيامة.

الشفاعة المثبتة: هي التي تُطلب من الله، مثل قول: يا رب شفع في نبيك، يا رب شفع لإفراطي.

فالشافع مكرم بالشفاعة، فالله يكرم الشافع بالإذن له، وإلا فالفضل يعود لله سبحانه.

والشفاعة تكون لمن رضي الله قوله وعمله وهو الموحد. أما المشرك فلا يرضى الله قوله وعمله كما قال تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ [النجم: ٢٦].

وهذه الآية فيها الشرطان إذن الله للشافع أن يشفع، ورضاه عن المشفوع له.

شرح القاعدة الثالثة: أن النبي ﷺ بعثه الله في أناس متفرقين في عباداتهم؛ منهم: من يعبد الأصنام، أو الأشجار، أو الأحجار، أو الشمس، أو القمر، ومنهم: من يعبد الأنبياء أو الأولياء، أو الصالحين، فكفرهم رسول الله ﷺ، واستحل دماءهم، وأموالهم، وقتلهم كما قال تعالى: ﴿وَقَتْلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ أَبَوْا فَلَا عُدُونَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٩٣].

والفتنة هي الشرك، أي: لا يكون شرك، ولم يفرق بينهم، فمن يعبد الأحجار، أو الأشجار، أو الشمس، أو القمر، أو الصالحين، أو الملائكة، كلهم مشركون وكلهم يقاتلون، وكلهم على باطل.

واستدل المؤلف على هذه الأنواع:

١- دليل النهي عن عبادتهم الشمس، والقمر قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَلْتُلْ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا سَجْدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧].

٢- دليل النهي عن عبادة الملائكة قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا﴾ [آل عمران: ٨٠].

٣- دليل عبادة الأنبياء قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي آلِهَتَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦].

٤- دليل عبادة الصالحين قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ﴾ [الإسراء: ٥٧].

يدعون من دون الله هم يطلبون الوسيلة، وهي التقرب إلى الله بالطاعة، أي: هؤلاء

الصالحون الذين يدعونهم هم يطلبون القربة إلى الله بطاعته؛ فكيف يعبدونهم وهم يعبدون الله، ويطلبون القربة؟!

٥- دليل الأشجار والأحجار قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ۖ ﴿١٩﴾ وَمَنُوءَ النَّارِ ۚ﴾ [النجم: ١٩، ٢٠].

وهي الأصنام الكبار عند العرب:

١- اللات: صنم لأهل الطائف (ثقيف) ومن حولهم، وهي صخرة، وقيل: هو اسم رجل يلت السوق للحاج، بالتشديد الرجل الذي يلت السوق، واللات بالتخفيف: الصخرة.

٢- العزى: شجرة في نخلة بالوادي.

٣- مناة: بنية بقديد.

٤- هبل: صنم كبير.

ولكل قبيلة صنم، لكل أهل صنم.

ثم ذكر حديث أبي واقد الليثي عندما ساروا مع النبي ﷺ بعد فتح مكة إلى حنين، وهم حدثاء عهد بالشرك، ما استقر التوحيد والإيمان في القلوب، فمروا بسدرة يعكفون عندها، ويعلقون عليها أسلحتهم، وطلبوا من النبي ﷺ مثل هذه الشجرة؛ فقال الرسول ﷺ: «الله أكبر!!» وجعل مقاتلتهم مثل مقالة اليهود لموسى حينما طلبوا أن يجعل لهم إلهًا، وهم أسلموا حديثًا، طلبوا منه أن يجعل لهم سدرة، فجعل الرسول ﷺ هذه المقالة مثل مقاتلتهم؛ لأن العبرة بالمعاني والمقاصد لا بالألفاظ، وإن جاروا.

والقاعدة أنه لا فرق بين المعبودات، وأن من عبد غير الله تعالى فهو مشرك أيًا كان معبوده شجر، حجر، أو ملك، أو نبي أو غيرهم، وهؤلاء المشركون لم يفرق بينهم الرسول ﷺ واستحل دماءهم وأموالهم.

وفي هذه القاعدة الرد على عبّاد القبور: الذين يدعون الأموات من دون الله، وينذرون لهم ويقولون: نحن لا نشرك بالله، نحن نشهد أن لا إله إلا الله، ونصلي، ونحج، ونزكي.

والرد عليهم: بأنه ليس كل المشركين يعبدون الأوثان بل بعضهم يعبد الملائكة، وبعضهم يعبد الصالحين، وبعضهم يعبد الشمس والقمر، ولم يفرق بينهم رسول الله ﷺ، واستحل دماءهم.

وفيها بيان أنه لا فرق بين المعبودات، وأن من عبد غير الله فهو مشرك، وأن الدعاء عبادة، والذبح عبادة، فإذا ذبحت لهؤلاء الأموات فقد انتقضت شهادة أن لا إله إلا الله، ويُبطل الصوم، والصلاة، والحج، وجميع الأعمال.

ومثال ذلك: من توضأ فأحسن الوضوء، وتَطَهَّر ثم أحسن الطهارة، ثم نقض الوضوء وأحدث، بطلت الصلاة والعبادة، وهم يدعون الأموات يا حسين، أعني! يا هبل! يا عبد الصالح أغثني! وخذ بيدي.

فبطلت العبادة، والشهادتان، وفسدت الصلاة، والصوم، والحج، وجميع الأعمال، وانتقل من كونه مسلماً إلى كونه مشركاً.

وهذه الشبهة يوردها عباد القبور يقولون: نحن نصلي ونصوم، ولا نشرك بالله، فكيف تجعلونا مثلهم؟!

نقول: أهل الأوثان في زمن النبي ﷺ عباداتهم متنوعة، منهم من يعبد الأنبياء، والصالحين، وغيرهم، والجميع كفرهم رسول الله ﷺ، واستحل دماءهم.

شرح القاعدة الرابعة: بيان الفرق بين المشركين الأولين والمتأخرين، وأن المشركين الأولين أخف شركاً، والمشركون المتأخرون أغلظ وأشد شركاً مع أنهم كلهم مشركون، ولكن الشرك يتفاوت كما أن الكفر يتفاوت، كما قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ [النحل: ٨٨].

فالمشركون الأوائل: يشركون في وقت، ويوحدون في وقت؛ إذا كان في الرخاء أشركوا، وإذا جاءت الشدة وتلاطمت الأمواج؛ ذكروا الله فأخلصوا له العبادة، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [العنكبوت: ٦٥]. والدين هو العبادة.

وكما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَاهًا فَلَمَّا نَجَّكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٦٧].

ولابد من التوحيد في كل حال، ولابد من التوبة من الشرك، والندم، والإقلاع، أما إذا
كان يوحد في وقت ويشرك في وقت فإنه لا يكون موحدًا.
من ضبط هذه القواعد الأربعة تبين له الشرك من التوحيد.



(الخلاصة للقواعد الأربعة)

القاعدة الأولى: بيان أن المشركين يوحّدون الله بأفعاله، وربوبيته، ولكن لم يوحّدوا الله تعالى بأفعالهم فكفّرهم الله تعالى.

القاعدة الثانية: أن المشركين حينما عبدوا الأصنام، والأشجار، أو الملائكة، أو الصالحين، مقصدهم القربة والشفاعة لا يعتقدون أنهم يخلقون، أو يرزقون؛ بل مقصدهم أنهم وجهاء عند الله؛ فهي تقربهم وتشفع لهم عند الله كما أخبر الله عنهم بقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَهَ الَّذِينَ خَالَصُوا اللَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَخْتَصُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣].

وقوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا﴾ [يونس: ١٨].

وهذا القصد الذي قصده هو الشرك بعينه جعله الله شركاً أكبر، وهذه مقاصد أهل الشرك ممن يدعون أهل القبور من المتأخرين، وهي مقالة المشركين الأولين.

القاعدة الثالثة: أن المعبودات مهما تنوعت واختلفت، فحكمها واحد، ويعمها اسم واحد وهو أنها كلها باطلة، وكل من عبّد غير الله من المخلوقات فهو مشرك.

القاعدة الرابعة: أن المشركين المتأخرين أغلظ، وأشد وأقبح شركاً من الأولين (المتقدمين)؛ لأن المتقدمين يشركون في وقت، ويوحّدون في وقت، ويعبدون أنبياء وصالحين، وأحجاراً وأشجاراً، تسبح الله، والمتأخرون يشركون في جميع الأوقات، والمتأخرون زادوا عليهم في عبادة الأصنام، والأحجار فعبدوا كفاراً وفساقاً.

تم بحمد الله الانتهاء من شرح القواعد الأربعة.

